

سلبى

(١)

جلست أمام الميكروفون في غرفة الإذاعة، تنتظر الإشارة من مخرج الهواء من خارج الزجاج لتبدأ بالكلام، تبدل بين أصابع يدها بالدق على الطاولة، وتبدل بين ساقها بالاهتزاز على الأرضية.

كانت نظرات عينيها تتأرجح بين النظر إلي المخرج والنظر إلى الساعة.

-لماذا لم يرد علي؟؟ كان دائماً ما يرد على مكالماتي قبل أن يحين موعد الهواء، هل هناك شيء ضايقه؟ أم حدث له مكروه؟ منذ الصباح وأنا لست مطمئنة، قلت له ألا يذهب اليوم فلم يستمع إلي؛ ما داعي للذهاب أول يوم في الشهر؟ أخشى أن يكون قد تعرض لحادث، ماذا أفعل؛ قلبي ليس مطمئناً...

قاطع المخرج تفكيرها حين أشار لها بإشارة العودة من الفاصل؛ فوضعت سماعة الأذن على رأسها وبدأت بالكلام.

-عدنا إليكم بعد الفاصل مستمعي برنامجنا، معكم سوسن فخري وبرنامج " أفكار صباحية " ..

نكمل كلامنا عن موضوعنا اليوم عن الأفكار وتأثيرها على حياتنا..

حدثونا عن أكثر الأفكار المسيطرة على تفكيركم طول الوقت..

نستمع لهذه الاغنية ونعود لنستقبل اتصالاتكم.

ضغطت بيدها على الزر لتلعب الأغنية، ثم نزلت السماعة من على رأسها.

عادت لشرودها مرة أخرى تفكر في أمره.

-بعد أن أنهى البرنامج سأكلمه.

(٢)

وقف بسيارته في زحام إشارة المرور في طريقه إلى مقر عمله.

استمر الوقوف في زحام الإشارة أكثر من ربع ساعة، تتسلل منه قطرات عرقه تدريجياً آخذةً معها الصبر؛ فقد اقترب ميعاد العمل، ولن يغفر له رئيسه التأخير؛ فلهذه رئيس لا يرحم، فالتأخير لعدة دقائق قد يؤدي لخصم اليوم بأكمله.

أخرج هاتفه المحمول من جيبه لينظر إلي ساعته، فوجد "سنسن" قد اتصلت به أربع مرّات.

-من المؤكد أنني لن أكلمها الآن، سأفعل عندما أنزل من السيارة، لا أريد مزيدًا من التوتر، ومن المؤكد أنها لن تستطيع الآن الرد علي.

نظر إلى الإشارة وإلى الزحام الهائل أمامه، ثمّ ضرب بيده على عجلة القيادة، ثمّ أدار زرّ المذياع ليستمع إليه.

"عدنا إليكم بعد الفاصل مستمعي برنامجنا وبرنامج أفكار صباحية، ونستمر معكم في الكلام عن موضوعنا اليوم عن قوة الأفكار وتأثيرها..

أحيانًا تسيطر علينا فكرة؛ فنفكر بطريقة سلبية، مثلًا..."

أدار زرّ المذياع يتنقل بين المحطات ليستمع لبرنامج يتحدث عن حالة المرور فلم يجد، عاد يفكر كيف يتخلّص من هذا التكدّس المروري اللعين الذي سيكلّفه خصم يوم من راتبه.

تحرك بالسيارة بسرعة حين تغيّر ضوء الإشارة، وصار يتفادى السيارات كالثعبان، يسير بسرعة جنونية كما اعتاد أن يفعل في مثل تلك الظروف حتى ارتطمت المرأة الجانبية للسيارة بأخرى وكسرت على الأرض.

-لو كانت "سنسن" تراني الآن لأهانتي على هذه القيادة الجنونية وكسر المرأة، دائمًا ما تقول أنها تشعر أنني سأقع في كارثة بسبب السيارة، وهي اليوم في مزاج سيء من الأساس؛ وتطلب مني ألا أخرج اليوم ولا أذهب للعمل.

ظلّ يسير بنفس طريقته حتى وصل مكان إشارة مرور جديدة التي تغيّر لونها للأحمر في لحظة وصوله.

أراد أن يعبر لكن أشار له شرطي المرور بالوقوف.

-أف، لمّ لم تتركني أعبر؟ لقد تركت عدة سيارات قبلي، هذا يعني ربع ساعة من التأخير. دائمًا ما يكون أول أيام الشهر هكذا، لا يسير كما ينبغي أبدًا.

وما المشكلة إذا خالفت الإشارة وعبرت؟؟ شرطي المرور قد أعطى لي ظهره ولا يراني، حتى إن رآني فهي مخالفة ليس أكثر، لا.. سأقف أفضل، لكن كيف، إذا وقفت تأخرت، وسيخصم يوم من راتبي في أول أيام الشهر، الشرطي لا يراني.. هيا هيا...

عبر الشارع بسيارته سريعًا وفجأة وعيناه على شرطي المرور في اللحظة التي لم ينتبه فيها لعبور رجلٍ جاوز عمره الخامسة والسبعين، فصدمه بسيارته وطار جسد الرجل في الهواء وارتطم رأسه بالأسفلت فسقط قتيلاً.

(٣)

كان حزينا أكثر من أي وقتٍ مضى؛ فمنذ وصوله لسن المعاش ولا يرى لحياته قيمة، وتتوالى عليه الأزمات والمشاكل. قد خسر أمواله مرّةً أخرى، حين وضعها في شركة لتوظيف الأموال طمعاً في الحصول على فائدة أكبر من فوائد البنوك. ليكتشف اليوم، حين ذهب لتحصيل فائدته كما اعتاد أول الشهر، أنّ صاحب الشركة قد جمع أموال المودعين ولاذ بالفرار.

كان يسير في الشارع مطأطأ الرأس يحبس دموعه.

-لماذا تعيش يا كامل؟ سؤال أسأله لنفسه منذ يوم خروجي على المعاش، في زمن عملي كان اسم "كامل فخري" له وقع عند الناس، كرّست وقتي للعمل ولم أفكر بعمل أي مشروع خاص بي إلا بعد خروجي على المعاش؛ فخسرت نقودي ونقود حفيدتي التي ورثتها من والدها في أول مشروع، وحين قررت تعويض الخسائر، خسرت خسارة أكبر حين وضعتها في شركة التوظيف.

سامحيني يا حبيبتى لم أستطع الرد على مكالماتك كالمعتاد؛ من المؤكد كنت ستعرفين من صوتي أن هناك أمراً ما، سامحيني أردت أن أعوضك، لكن يبدو أن وجودي في حياتك أصبح عبأً عليك. موت والدك قد سبب لك عقدة ومنذ ذلك الوقت وأنت خائفة أن تخسريني فجأة كما خسرتِه، لكن يا ليتك تخسريني وترتاحين وأرتاح.

رنّ هاتفه، وضع يده في جيبه محاولاً البحث عنه فلم يفلح توقف ليستطيع الوصول إليه، حين عبرت سيارة مسرعة متجاوزة إشارة المرور لتصطدم به ويطيّر جسده في الهواء ثمّ يقع على الأرض ويصطدم رأسه بالأسفلة، ويقع هاتفه بجانبه يظهر على شاشته اسم "سوسن فخري".

...

يناير ٢٠١٩.